رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 52- سورة التوبة | من الأية 56 إلى 66

عبدالرحمن العجلان

وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب. قل اباالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعفو عن طائفة منكم نعذب طائفة بان - 00:00:00

كانوا مجرمين ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض نلعب بسبب نزولها قال المفسرون رحمهم الله انها نزلت في جماعة من المنافقين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك - 00:00:27

وكانوا يسيرون بين يديه قال بعضهم لبعض يقمع هذا الرجل بانه يستولي على قصور الروم هيهات هيهات له ذلك او قال بعضهم لبعض كأن بكم غدا مربطين بالحبال اتظنون ان جلاد بني الاصفر كقتال العرب بعظهم لبعظ - 00:01:02

وقصدهم بهذا تثبيط المؤمنين عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والخروج معه للجهاد في سبيله وقال بعض المنافقين لعوف ابن مالك رضي الله عنه ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء - 00:01:48

ارغب بطونا ولا اكذب السنا ولا اجبن عند اللقاء. يعنون النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته فقال عوف بن ما لك رضي الله عنه كذبت ولكنك منافق لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم - 00:02:22

فاسرع عوف رضي الله عنه ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم فوجد القرآن قد سبقه ولعلها نزلت في هؤلاء وفي من قال هذا القول وقال القول الاخر وحينما تهكم بعضهم - 00:02:48

مع بعض بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم سائرون بين يديه في غزوة تبوك امر النبي صلى الله عليه وسلم من يحبسهم يوقفهم فاوقفوا حتى اتاهم النبي صلى الله عليه وسلم - 00:03:17

وقال لهم قلتم كذا وكذا قالوا يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب يصلي بعضنا بعضا اعتذار اقبح من الفعل يصلي بعضهم بعضا ويونس بعضهم بعضا بالتهكم برسول الله صلى الله عليه وسلم - 00:03:43

وصحابته الكرام ورؤي انه قال بعضهم لبعض حينما تكلموا بهذا الكلام لا ينزل فيكم قرآن يفضحكم قال بعضهم لا ينزل شيء انما محمد يأتي بالكلام من عند نفسه والله جل وعلا - 00:04:19

اخبر محمدا صلى الله عليه وسلم في مقالة بعضهم لبعض وتهكمهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وانزل جل وعلا حكمهم في قوله تعالى لا تعتبروا قد كفرتم بعد ايمانكم التهكم بشيء من ايات الله - 00:04:51

او بالملائكة او بالرسل كفر بالله العظيم وقد اخبر جل وعلا عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فيما سيقولونه معتذرين وانه جل وعلا لم يقبل عذرهم بل وبخهم على قولهم - 00:05:20

وعلى اعتذارهم لانه كما يقال عذر اقبح من الفعل يعتذرون بان تهكمهم هذا خوض في الكلام لا يقصدون حقيقته فيقال لهم اما وجدتم ما تخوضون به وتتحدثون به غير الاستهزاء بالله وباياته وكتبه ورسله - 00:05:52

ما حملهم على ذلك الا كفرهم بالله جل وعلا وبرسوله صلى الله عليه وسلم والله جل وعلا رغبهم في التوبة بعد ما بين ان مقالتهم هذه مقالة كفر يقال ان المتحدثين ثلاثة - 00:06:30

منهم محشي بن حمير واختلف في اسمه في ظبطه قيل مخشن وقيل مخشي ابن حمير او حمير وقد كان مع القوم قيل انه يسمع

كلامهم ويضحك ولم يتكلم او انه يسمع - 00:07:06
وينكر عليهم الا انه لم يرفع ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء معتذرا الى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما تاب وصدق في توبته وقال قعد بي يا رسول الله اسمي واسم ابي - 00:07:36
فتاب وحسن اسلامه وتسمى بعبدالرحمن بعد ذلك ويروى انه دعا فقال اللهم اني اسمع اية في كتاب الله انا المعني بها تتقطع لها القلوب اللهم امتني شهيدا في سبيلك حتى لا يقل احد - 00:08:02
انا غسلت انا كفنت انا دفنت فمات شهيدا في معركة اليمامة وقد عثر على كل من مات شهيدا في هذه المعركة عثر على جسمه ما عدا هذا فانه لم يعثر على جسمه بين القتلى - 00:08:41
فلعل الله استجاب له دعوته وقتل شهيدا صادقا ان شاء الله وتاب الله عليه كما وعد بذلك في الاية ان نعفو عن طائفة منكم نعذب طائفة ولعل الله عفا عنه - 00:09:07
يقول الله جل وعلا ولئن سألتهم لئن سألت المنافقين يا محمد عن مقالتهم لما تكلمتم بهذا الكلام وقد صدر منهم مقالات عدة بعضهم قال ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ارغب بطونا - 00:09:32
يعني انهم عند الاكل يأكلون كثيرا ولا اكذب السنة يعني انهم عند الكلام والحديث كذبة ولا اجبن عند اللقاء يعني انهم عند لقاء العدو جبناء يتأخرون وعانوا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم وارضاهم وهم اشجع الناس - 00:09:57
اصدق الناس السنة واقنعهم في الدنيا رضي الله عنهم وارضاهم وقد كذبوا في هذا وبعضهم قال يزعم هذا يشيرون الى النبي صلى الله عليه وسلم لانه يستولي على قصور بني الاصفر - 00:10:27
يتهكمون بذلك يقول ان خروج محمد لقتال الروم يسول له نفسه بانه سيغلبهم ويستولي على قصورهم وبعضهم قال ان محمد يأتي بالكلام ويقول هذا قرآن وهو كلام من عنده وبعضهم قال لا تتقدموا - 00:10:51
كاني بكم غدا مربطين بالحبال اسرى بايدي الروم اتظنون ان قتال الروم كقتال العرب فيما بينهم وقصدهم بهذا تخذيل من مع النبي صلى الله عليه وسلم الخارجين معه للقتال في سبيل الله - 00:11:23
ولئن سألتهم ليقولن اذا سألت المنافقين يا محمد عن مقالتهم كيف يقولون هذا القول يقولون انما كنا نخوض ونلعب ما كان هذا صادر من قلوبنا حقيقة وما كنا جادين في حديثنا وانما هذا مجال - 00:11:55
ولعب ومزح وكما يسمونه والخوظ اصله في دخول الرجل في ماء مخلوط بالطين خاض في النهر وخاض في البحر اذا دخل فيه حالة كون النهر او البحر مخلوطا بطين كدر - 00:12:29
ثم استعمل الخوظ في كل دخول في شيء ملوث سواء كان تلويثه السين كالدخول في الدحر والوحل والماء الكدر ونحوه او تلويثه معنوي كالدخول في كلام سيء فاصل الخوظ الدخول - 00:13:03
في شيء ملوث كان الاصل في الماء الكدر ثم استعمل في كل دخول في شيء ملوث وسواء كان هذا التلويث حسيا او معنوية انما كنا نخوض ونلعب. نلعب يعني نمزح فيما بيننا - 00:13:33
لاجل ان يذهب بعضنا عن بعض السآمة والملل وتعب السفر وبعد الطريق قال الله جل وعلا قل قل لهم يا محمد اباالله واياته ورسوله كنتم تستهزئون اما وجدتم ما تمزحون به وتلعبون غير التحكم - 00:14:01
والاستهزاء بالله جل وعلا وبايات الله القرآن وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم والاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ وهو الزام لهم بانه قد صدر منهم هذا الشيء قل اباالله واياته ورسوله كنتم - 00:14:34
تستهزئون روي انهم قالوا حينما قال بعضهم يزعم محمد انه يستولي على قصور بني الروم قال احدهم نعم يساعده على ذلك الله وقال مقالة قبيحة المنافق الاخر طالما قالة قبيحة - 00:15:11
حينما قال له صاحبه يساعده على ذلك ربه وقال الله جل وعلا لهم قل اباالله واياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا الاعتذار محاولة محو ما سبق من زلة يقال في اللغة - 00:15:58

عذر الطفل بمعنى ختنة ازال العذرة منه الحشفة وبازالة الحشفة يزول ما تحتها من دنس ومن قذر لان الحشفة يتراكم عليها القدر بقية البول فاذا ازيلت المرء من هذا القذر - 00:16:36

فكأن المعتذر يحاول ازالة ما حصل منه من خطأ والخطأ يدنسه ويقذره لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم هل هم مؤمنون من قبل ليسوا بمؤمنين هم كفار ومنافقون والمنافقون في الدرك الاسفل من النار. فلم يدخل الايمان الحقيقي في قلوبهم - 00:17:16

وانما توهم فيهم المؤمنون بانهم مؤمنون توهم فيهم المؤمنون من قبل انهم مؤمنون فاظهروا كفرهم عيانا بيانا لا تعتذروا قد كفرتم بعد ما كان يتوهم عند المؤمنين بانكم مثلهم والا فان الله جل وعلا يعلم من طوت عليه قلوبهم من النفاق - 00:17:56

فلم يكونوا مؤمنين من قبل وانما كانوا في الظاهر حكمهم حكم المؤمنين فاظهروا بهذه المقالة السيئة كفرهم ظهر عيانا بيانا للمؤمنين لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعفو عن طائفة منكم - 00:18:35

ان نعفو عن بعضكم نعذب بعضا هم مستحقون بهذه المقالة للعذاب وانما سبق في علم الله ان احدهم يتوب ويصدق في توبته والتائب من الذنب عند الله جل وعلا بعفوه ورحمته - 00:19:10

لا ذنب له ان نعفو عن طائفة جماعة والطائفة تطلق على الجزء من الشيء سواء كانوا جماعة تقول طائفة من هذه الجماعة يعني جزء ويصدق على الواحد فاكثر والتائب فيما رؤي هو واحد من هؤلاء - 00:19:46

ويصدق على الجزء من الشيء اي جزء من اي شيء ان تقول طائفة ذهب طائفة من الليل او لم يبق من الليل الا طائفة يعني بعض او ذهب طائفة عمره - 00:20:29

ذهب او بقي طائفة من عمره والطائفة يطلق على الجزء من الشيء الباقي ان نعفو عن طائفة يعني فرقة من هؤلاء نعذب طائفة لانهم يستحقون التعذيب بمقالتهم هذه وقد سبق في علم الله - 00:20:54

ان بعضهم يتوب وبعضهم يستمر على نفاقه فيموت عليه فوعد جل وعلا من تاب بانه بانه يعفو عنه ومن لم يتب يستحق العذاب نعذب طائفة بانهم الباء هنا شبابية بسبب انهم - 00:21:27

كانوا مجرمين لانهم كانوا مجرمين بسبب اجرامهم وخروجهم عن الصراط المستقيم وكلمة مجرمين محلها من الاعراب خبر كان واين اسمها الظمير الواو واين اسم ان بان اسمها وخبرها الظمير بانهم - 00:22:05

هذا اسمها وجملة كان واسمها وخبرها خبر لان بانهم كانوا مجرمين والجر والمجرور في قوله جل وعلا قل اباالله واياته ورسوله اباالله بالله اين متعلقه متعلق بخبر كان كنتم تستهزئون متعلق بتستهزئون - 00:22:44

استدل بهذا على انه يجوز ان يتعلق الجر والمجرور ويكون العامل فيه متأخر عن بالله واياته ورسوله كنتم تستهزئون تستهزئون بالله واياته ورسوله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب - 00:23:19

قل اباالله واياته ورسوله كنتم تستهزئون. لا تعتذروا قد كفرتم بعد ان نعفو عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى قال ابو معشر المديني عن محمد ابن كعب القرظي وغيره قالوا قال رجل من المنافقين ما اراد - 00:23:54

قراءنا هؤلاء الا ارغبنا بطونا واكذبنا السنة واجبننا عند اللقاء ورفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقة - 00:24:30

فقال يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه كاني انظر اليه متعلق بنسع ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب - 00:24:49

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلتفت اليه ويرد عليه بقوله اباالله واياته ورسوله كنتم تستهزئون يقول كأني اراه تضرب الحجارة قدميه وهو يقول هذا القول معتذر للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه اعتذار - 00:25:08

قادر من الفم فقط لا من القلب نعم. فقال يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب وقال اباالله واياته ورسوله كنتم تستهزئون الى قوله كانوا مجرمين. وان رجليه نصفاني الحجارة وما يلتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بسيف رسول الله صلى الله

عليه - 00:25:30
وسلم وقال عبد الله بن وهب اخبرني هشام ابن ابن سعد عن زيد ابن اسلم عن عبدالله ابن عمر قال قال رجل في غزوة تبوك في مجلس ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء ارغب بطونا ولا اكذب السنا ولا اجبن عند اللقاء. فقال رجل في المجلس - 00:25:59
كذبت ولكنك منافق لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن فقال عبد الله القرآن ونزل القرآن فقال عبد الله ابن ابن عمرو وانا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه - 00:26:23
وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه سلم يقول ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزئون الحقبة الحبل الذي يربط به الرحل فوق - 00:26:49
البعير وقد رواه الليث عن هشام ابن سعد بنحو من هذا وقال ابن اسحاق وقد كان جماعة من المنافقين منهم ابن ثابت اخو بني امية ابن ابن زيد ابن عمر - 00:27:09
ابن عوف ورجل من اشجع حليف لبني سلمة يقال له مخشي ابن ابن حمير يسيرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق الى تبوك. فقال بعضهم لبعض اتحسبون جلاد بني الاصفر كقتال العرب بعضهم بعض - 00:27:28
والله لكنا بكم غدا مقرنين في الحبال. يعني اسرع نعم ارجافا وترهيبا للمؤمنين. فقال مخشي بن حمير والله لوددت ان اقاضى على ان يضرب كل رجل منا مئة جلدة واننا نغلب ان ان ينزل علينا قرآن لمقالتكم هذه. وقال رسول - 00:27:48
الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني بلغني لعمار ابن ياسر ادرك القوم فانهم احترقوا فاسألهم. نعم. يعني هلكوا بهذه المقالة الشنيعة احترقوا نعم ادرك القوم فانهم قد احترقوا فاسألهم عما قالوا فان انكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا فانطلق - 00:28:14
اليهم عمار فقال ذلك لهم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه. فقال وديعة ابن ثابت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على راحلته. فجعل يقول وهو اخذ بحق بها. يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب. فقال - 00:28:40
المخشي ابن حمير يا رسول الله قعد بي اسمي واسم ابي. فكان الذي عفي عنه في هذه الاية مخشي ابن حمير فتسمى عبدالرحمن وسأل الله ان يقتل شهيدا لا يعلم بمكانه فقتل يوم اليمامة ولم يوجد له - 00:29:00
وقال قتادة ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب. قال قال فبينما النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديك فقال فقالوا يظن هذا - 00:29:20
ان يفتح قصور الروم وحصونها هيهات هيهات. هذا يشيرون الى النبي صلى الله عليه وسلم من باب اللمس هيهات هيهات يعني بعيد فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا فقال علي بهؤلاء النفر فدعاهم فقال قلتم كذا - 00:29:40
وكذا فحلفوا ما كنا الا نخوض ونلعب. وقال اكرمة في تفسير هذه الاية. كان رجل ممن ان شاء الله يقول اللهم اني اسمع اية انا انا اعنى بك. انا اعنى بها تقشعر منها الجلود. وتجب منها القلوب. اللهم تجب منها القلوب تجب بمعنى - 00:30:05
فاذا وجبت جنوبها قطعت وجب الشيء بمعنى قطع نعم انا اعنى بها تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب. اللهم فاجعل وفاتي قتلا في سبيلك. لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت قال فاصيب يوم اليمامة فما من احد من المسلمين الا وقد وجد - 00:30:31
غيره غيره رضي الله عنه لم يوجد لم يعثر له على جسم ما وجد وقوله لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم اي بهذا بانهم كانوا مجرمين اي مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة - 00:31:02
وفي قوله ان نعفو عن طائفة منكم نعذب طائفة فيها قراءتان ان نعفو عن طائفة منكم نعذب على البناء المفعول. وعلى البناء على البناء للفاعل هنا. وعلى البناء للمفعول ان يعفى - 00:31:24
عن طائفة منكم يعذب طائفة والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:31:43